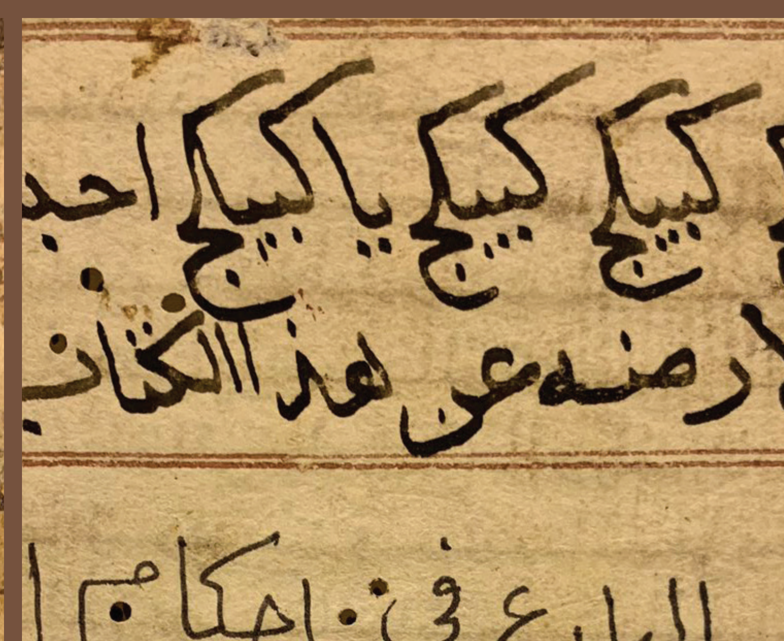


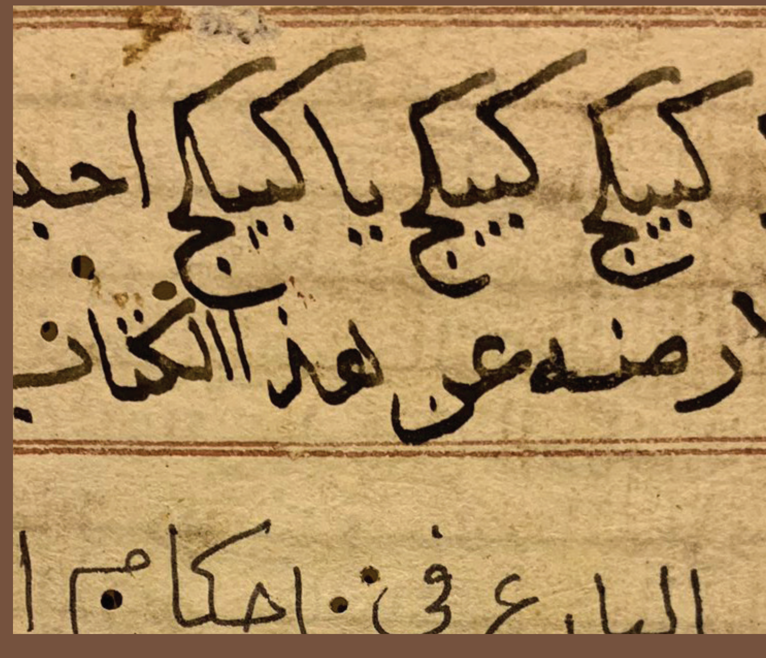
سحر وتقنية حفظ المكتبة (*)

جيمس بولوك(**)

ترجمة: محمد مجدي الديب: مصر

يلتقى محبو الكتب العربية في نهاية المطاف مع (كبيكج)، تلك القوة المتحركة ببطء، أو ربما الشيء الذي يجدون اسمه مكتوباً بافتتاحية أو خاتمة الكتب المخطوطة أو المطبوعة. ولقد نشر (آدم جاسك (Adam Gacek)) دراسة دقيقة لأصل وتاريخ تطور الاسم واستخداماته في المخطوطات العربية، والذي يقتبس فيه تفسير ثلاثي الأبعاد لـ(ستينجاس(Steingass)). وأوضح في مقالته أمثلة مصورة من مخطوطات مكتبة جامعة ليدن. ولاحظت على غلاف نشر بريل للدراسات العربية في هولندا صورة مثال آخر لمخطوط ليدن (معجم الجواهري)، والذي يقرأ مثل تمتمة، صرخة معركة لعالم فقه لغوي قلق لـ(الأرضة، كبيكج)، أو لـ(الحشرات، كبيكج!)





التقينا بهذه الكلمة في مكتبة جامعة إنديانا عند التعامل مع عملية شراء لكتب من سوريا عام (1964م)، أي في القرن التاسع عشر، وقيل إنها من مكتبة قاض، ويحمل كثير منها أسماء جيلين وثلاثة أجيال من الملاك في عائلة السكري. هدأ الفضول لفترة طويلة من خلال تعريف (فير (wehr)) للكبيكج: على أنه اسم نبات (الحوذان الآسيوي (Ranunculus Asiaticus))، والذي اعتبرته نوعاً من العميل الحارس (الحافظ). فلقد شق الحفظ، أي حفظ الكتب، طريقه بقلق إلى صدارة أولويات المكتبات الوطنية. وذلك من أجل إعداد مشاركة في مجلة (جمعية أمناء مكتبات الشرق الأوسط) (MELA) لعام (1983م) والخاص بـ(حفظ الكتاب)، فكرت مرة أخرى في أن أولوية فهرسة هذه المجموعة تسير إلى الأمام ببطء في مرحلتيها، (الثانية، والثالثة).

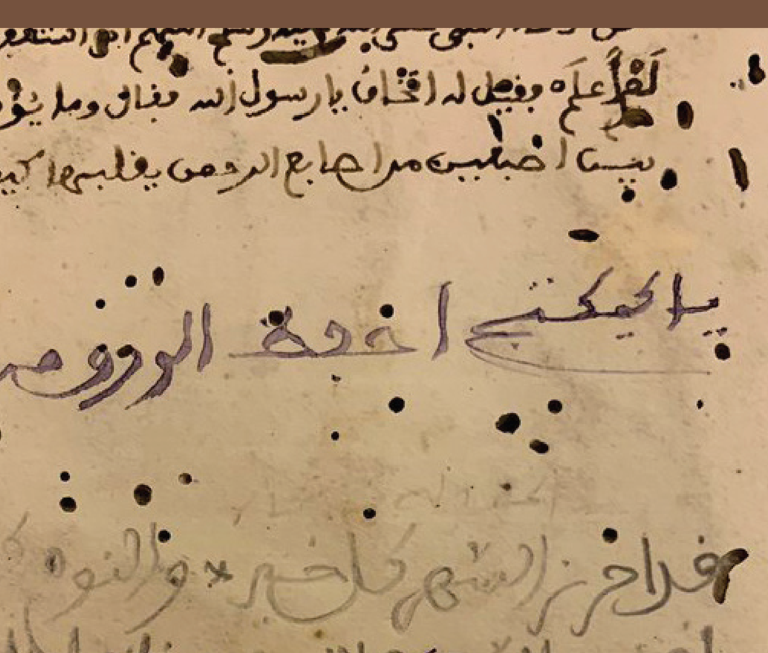
لقد بحثت في وقت متأخر بأكوام كتبنا عن أمثلة مصورة من (c)، وحددت موقع سبعة مجلدات بها ثلاثة أشكال مختلفة للتوسل بحفظ الكتاب، وكتبت جميعها بنفس خط اليد، وكان الأمر الأكثر إثارة للدهشة من هذه الصيغ السحرية القليلة، هو احتواء أوعية الكتب التي أتذكرها على كمية كبيرة من المجلدات المنفردة، ومعظمها في حالة سيئة للغاية، وهي مصنوعة من الجلد، أو الورق المقوى، والقماش. وأزيلت جميع الأوعية، لتيسير عملية الجرد والفهرسة، ولكن شعرنا بالفزع بعد سنوات، لفهم أننا بذلك قد خفضنا القيمة الجوهرية للكتب. وفي مكتب أمين مكتبة الشرق الأوسط لدينا تم الاحتفاظ بنماذج لأفضل الأوعية الجلدية الحمراء، والمزخرف بعضها بالختم (القالب)، مع أحزمة داخلية مميزة لفن إخراج الكتاب، وبطاقات التعريف الخاصة بها.

وتؤكد دراسة (جاسك) أن الأصل اللفظي لـ(كبيكج) طبقاً لقائمة (ستينجاس) هو (الرأي النباتي). واشتمل بحثي الدائم على قليل من الفلسفة: إذا كان (كبيكج) نباتاً طارداً للآفات وله رائحة، فإنه يوازي في الاستخدام حرق (شموع السترونيلا citronella candles) في الهواء الطلق مساء لدرء البعوض. وأخبرني أمين مكتبة علم الأحياء بجامعتنا أن: السم في الحوذان الآسيوي هو ال (بروتو أنيمونين (proto-anemonin))، وعلى الرغم من ذلك فإنه بالنسبة لي، لا تزال ميزة صد الحشرات غامضة، إذا كانت هناك ميزة لهذا النبات.

والأقرب لهذه الفكرة ما أخبرني به (ويبستر Webster) في قاموسه الرائد، أن: (كرات مقاومة حشرة العثة كانت مصنوعة سابقاً من الكافور). كما ورد في رسالة لصحيفة (مشاهد العلوم المسيحية (Christian Science Monitor)) أن: (... براعم شجر (الأوكالبتوس Eucalyptus) على كل رف كتب، وفي قبو منزلنا كانت تعمل بشكل جيد للقضاء على حشرة السمكة الفضية بجنوب كاليفورنيا).

وذكرت وكالة أنباء (المتحدة العالمية للطباعة) (UPI) ملاحظة من أتلانتا عام (1984م) بعنوان: (لعنة زيت قشر البرتقال للحشرات)، وهي أن: (الزيت الموجود في قشر البرتقال قد يتحول إلى سلاح آمن بيئياً ضد مجموعة من الحشرات الضارة. والليمونين هو المكون الموجود في زيت الحمضيات الذي يقتل بعض الحشرات، ولا يوجد فقط في البرتقال بل في ثمار الحمضيات الأخرى أيضاً). وكان تتويجاً لهذا الخط من الاستفسارات عندما سمعت (باتريشيا رايزنمان (Patricia Reisenman))- زميلة مكتبة إنديانا، تصف انطباعاتها عن جولتها للمكتبات الأكاديمية في الصين عام (1985م). فهناك في تلك الأرض من الحضارة القديمة، داخل أكوام إحدى مكتباتهم الأكاديمية، كان يقف حارس للحفظ، مكعب بحجم بوصتين من الكافور المصقول! نعم كذلك. فيتم الاحتفاظ بالحشرات في مكان بعيد، ولكن يجب ألا تلمس الكتب حراس النباتات.

والآن قد يكون نوع كبيكج كإعادة صياغة لـ(ستينجاس) رائحة نبات طارد للآفات، أو متحكم ملائكي(؟) في الثعابين وما شابه ذلك، أو حتى الآن، ملك الصراصير ذي العيون الخرزية الدائرية يحرك قرني استشعاره. ومن المؤكد، أن الطبيعة العامة لاستخدامه هي أمل ضبابي في أن تؤدي كتابة الاسم- مع أو دون اتجاه محدد، إلى حفظ الكتاب المادي بطريقة سحرية.





التفسير الثالث: (كبيكج)، هو ملك الصراصير الذي سوف يتحكم في المفترسات- يبدو أنه يناسب سياق الاستخدام الأفضل في الثلاثة. وتتضمن أمثلتنا لتلك التوسلات ما يلي:

(يا كبيكج احفظ الورق!). (يا كبيكج احفظ هذا الكتاب من الحشرات!). (يا كبيكج، لا تأكل الورق!).

وبالإضافة إلى الفلسفة، هل هناك أوجه تشابه لمقتني الكتب بين الحاضر المسرع والماضي في سباته؟ ماذا عن الملاحظات التالية؟ كما حدث في سوريا بثمانينات القرن التاسع عشر أعوام (1880م)، وهو الحال نفسه في الغرب بثمانينات القرن العشرين أعوام (1980م)، حيث يبدأ حفظ الكتاب مع المختصين والمسؤولين، الذين يحفزهم جزئياً درجة دائمة من الاحترام الديني والثقافي القديم، حتى يصبحوا هم (أصحاب الكتاب)، أي (ملاكه)، وجزء كبيراً من منطق ضرورة حماية النتاج الحضاري من العناصر المفترسة، والمواد الكيميائية، والحشرات، واللصوص، والإهمال. ولذلك يتطلب حفظ الكتاب- في الماضي والحاضر، الحرص في منح حق الاقتراب، والأمان القائم على المعرفة الوثيقة ومراقبة المستخدمين، وتبذل المكتبات الخاصة في هذا الجانب جهوداً كبيرة، بينما تعتمد المكتبات العامة على الوسائل الإلكترونية في الوقت الحاضر.

وفيما يتعلق بالخرافات في مقابل الممارسة العلمية لحفظ الكتاب، فقد رأينا استمرارية سوريا القديمة في التوسل بـ(كبيكج) إلى الاستخدام الأوسع لأوعية الكتب المصنوعة بإتقان. وفي الغرب، قد تنتشر الخرافات بهذا الصدد أيضاً تحت السجاد وبلاط الأرضيات الرخو. وبعض أنواع الممارسات العلمية، أولاً: (نظام الاحترام)، أي حماية مناسبة وكافية للكتاب، وثانياً: (الكومة المفتوحة)، وهي علامة الديمقراطية والتفكير الصحيح، وبالتالي فإننا نعترف بالإرادة العالمية للتعلم، وثالثاً: (استبدال الكتب)، حيث يمكن دائماً استبدالها في حالة إتلافها أو فقدها، ورابعاً: (التسطير والتظليل والملاحظات الهامشية)، فهي سبب العلماء الناشئين أو العظماء بالفعل، وخامساً: (السرعة في معالجة المكتبة، ونقل وتخزين الكتب على الرفوف في وقت محدد)، حيث تنافس بشدة الأفكار ذات الأهمية العلمية.

يقولون إن الشذوذ، مجرد دفع بالحياة الطبيعية إلى ما هو أبعد من حدودها المفهومة عموماً، ولكن غالباً ما تكون غير محددة. كل هذه الخرافات الحديثة ذات الصوت غير الطبيعي موضع استياء، ويتم التعامل معها كما يفعل أمناء المكتبات. وأخيراً، يعد العلم التطبيقي الحديث في المكتبات مصدر فخر لنا. وبعض القياسات المعمول بها الآن كما يلي:

أولاً: ضوابط الرطوبة ودرجة الحرارة والضوء، وثانياً: تنظيف منتظم للكتب والأرفف والأرضيات، وثالثاً: بيئة مكتبية خالية من الحشرات والقوارض، ورابعاً: وضعها على الرف ومعاملتها بطريقة أكثر حرصاً، وخامساً: حماية مادية للمواد الهشة والنادرة من احتكاك الأرفف، والتعرض المفرط للضوء، ونقاط الضعف المادية عن طريق استخدام صناديق وأغلفة من الورق خالية من الأحماض، وسادساً: المزيد من وقف التحمض بوضع ورق بيني (فارغ) بين صفحات الكتاب بأنسجة خالية من الأحماض، وسابعاً: استخدام شريط إصلاح أرشيفي للصفحات الممزقة، وثامناً: إعادة التجليد دون إتلاف التوقيعات، وتاسعاً: العناية بالجلد.

وفي نهاية هذا المقال يذكر (بولوك) قائلاً: (لا يوجد سحر في الحرص الشديد بتقنية حفظ الكتاب، وكلما رأيت هذا الأخير- يقصد (كبيكج)-، فأنت تعلم أنه من صنع أحد محبي الكتب المحدثين جداً).

(*) مقالة نشرها (جيمس بولوك James W. Pollock)، باللغة الإنجليزية، بعنوان:

KABI،KAJ TO BOOK POUCHES، LIBRARY PRESERVATION MAGIC AND TECHNIQUE IN SYRIA OF THE 1880'S AND THE 1980'S WEST.

في مجلة:

MELA Notes، Middle East Librarians Association، No. 44 (Spring، 1988)، pp. 8- 10.

(**) دكتور متقاعد بجامعة إنديانا، ولد بأسيوط عام (1922م) لأبوين تبشيريين، درس اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وتلقى دورات في اللاهوت والعمل الكهنوتي، وطور التزاماً بالكنيسة المشيخية التي مولته للعمل التبشيري في مصر.